شرح
منازل السائرين

المتن
لشيخ الإسلام
عبد الله الأنصاري الهروي
396 - 481 هجرية

والشرح
للإمام الشيخ
زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي
952 ـ 1031 هجرية

تحقيق الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الواحد الأحد الحق المبين، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا انكشاف والباطن بلا استتار، كان ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان، خلق الإنسان بيده في أحسن تقويم واستخلفه في أرض ناسوت جسمه وسماء ملكوت قلبه وحقيقة جبروت روحه وسرّه، وحمَّله أمانة توحيد ذاته وصفاته وأفعاله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: الآية 75]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: الآية 4]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: الآية 30]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: الآية 72].

والحمد لله تعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير القائل تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: الآية 11]، والقائل تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية 2].

وصلِّ الله على الإنسان الكامل والخليفة الحقيقي في أرض ملك شريعته، وسماء ملكوت طريقته، وسر جبروت حقيقته، سيد ولد آدم، النبي الخاتم، المبعوث رحمة للعالمين بما جاء لهم به من دين كامل جامع للإسلام والإيمان والإحسان المقابلة للعوالم الوجودية الملك والملكوت والجبروت، المقابلة لما تضمنه الإنسان من نفس وقلب وروح، فالإنسان يقابل عالم الملك بجسمه

ونفسه، ويقابل عالم الملكوت بعقله وقلبه، ويقابل عالم الجبروت بروحه وسرّه. قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذّاريات: الآية 21]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فُصّلَت: الآية 53].

وبعد، ففي إطار معرفة الإنسان بنفسه الموصلة إلى معرفة ربه انطلاقاً من قوله ﷺ: «**مَن عرف نفسه عرف ربه**» وفي إطار نشر كتب التصوُّف الإسلامي بعد تحقيقها وتصحيحها وتنقيحها والتعليق عليها، نقدم للقرَّاء الكرام كتاباً من أنس كتب التربية والسلوك الشارحة للمقامات التي لا بد للمريد السالك إلى مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان من التحقق بها، ألا وهو كتاب «**منازل السائرين إلى الحق المبين**» للشيخ الحافظ أبو إسماعيل عبد الله الهروي الحنبلي الأنصاري المتوفى سنة 481 هجرية. وقد ألّفه حين سأله جماعة من أهل هراة فأجاب ورتّب لهم فصولاً وأبواباً فجعله مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام، كل منها يحتوي على عشرة مقامات يجمعها رتب ثلاث:

الأولى: أخذ القاصد في السير.

الثانية: دخوله في الغربة.

الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد.

والأقسام العشرة التي يقسم المقامات إليها هي: البدايات، والأخلاق، والأبواب، والأصول، والولايات، والنهايات، والمعاملات، والأودية، والحقائق.

وشرح الكتاب جماعة من العلماء منهم العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة 730 هجرية الذي وصف الكتاب بقوله: وهو كتاب فاق على كل ما صنِّف في هذه الطريقة. وشرحه الشيخ شمس الدين محمد التبادكاني الطوسي المتوفى سنة 891 هجرية وسمَّاه «تسنيم المقربين في شرح منازل السائرين» وشرحه الشيخ محمود بن محمد الدركزيني المتوفى سنة 743 هجرية وسماه (تنزيل المسافرين) وشرحه الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي

المتوفى سنة 751 هجرية وسماه «مدارج السالكين». واختصرته العارفة بالله تعالى الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته «الإشارات الخفية في المنازل العلية»، وشرحه العارف بالله المحقق الشيخ عفيف الدين التلمساني بن علي التلمساني المتوفى سنة 690 هجرية. وشرحه شيخ الإسلام العلاَّمة عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة 1031 هجرية، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وأصل الكتاب مخطوط نفيس حصلنا عليه من مكتبة الدولة في برلين برقم (615) ويقع في ورقتين ومئة وكل ورقة مكوَّنة من صفحتين ومسطرته تسعة عشر سطراً كُتِبت بخط رقعي واضح نسبياً.

ويعود الفضل في نشر هذا الكتاب للمرة الأولى للباحثين الفاضلين الدكتور محمد عبد القادر نصار والأستاذ أحمد إبراهيم عبد الحميد. وقد بذلا مجهوداً كبيراً في تحقيق الكتاب وإخراجه في أبهى حلة جزاهما الله تعالى خيراً، إلا أننا وجدنا أن نسخة المخطوط الذي اعتمدا عليه في تحقيقهما ـ وهي نسخة مكتبة الإسكندرية ـ سقط منها الكثير من الفقرات والجمل والعبارات بالمقارنة مع نسخة مكتبة الدولة في برلين وهي النسخة التي اعتمدناها في تحقيقنا هذا، فحمدنا الله تعالى أنْ منَّ علينا بنسخة كاملة بها اكتمل عملنا وعمل هذين الباحثين الفاضلين وتمَّ الغرض وحصل النفع ووفقنا الله تعالى لخدمة العلم والعلماء والمريدين والعارفين بالله تعالى.

ولا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت،

مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيات 3-4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية 69]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان 22-23].

كتبه الشيخ الدكتور

عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة الشارح*
الشيخ عبد الرؤوف المناوي
٩٥٢ هجرية ـ ١٠٣١ هجرية

هو شيخ الإسلام، علامة الأنام، خاتمة المؤلفين والمحدثين، زين الملة والدين، الشيخ عبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي. ولد سنة اثنين وخمسين وتسعمائة هجرية.

أخذ العلم عن الشمس الرملي، وعلي المقدسي، ومحمد البكري، والنجم الغيطي، والطبلاوي، والشيخ الإمام سيدي عبد الوهاب الشعراني، والشيخ محمد التركي الخلوتي.

وأخذ عنه: سليمان البابلي، وإبراهيم الطاشكندي، وأحمد الكلبي.

توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وألف وصُلي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة، ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم المبارك، فيما بين زاويتي سيدي الشيخ أحمد الزاهد، والشيخ مدين الأشموني.

ومن مصنفاته:

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير.

ـ فتح الرؤوف القدير شرح الجامع الصغير.

---

* هذه الترجمة هي من كتاب «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ابن الشارح الشيخ عبد الرؤوف المناوي. وانظر ترجمته في:
ـ خلاصة الأثر للمحبي (2/ 412)، وفهرس الفهارس (2/ 560)، والأعلام للزركلي (6/ 204).

ـ التيسير شرح الجامع الصغير.
ـ شرح الشمائل الترمذية.
ـ شرح الباب الأول من كتاب الشفا لعياض.
ـ اليواقيت والدرر شرح نخبة ابن حجر.
ـ كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق.
ـ المجموع الفائق من حديث خير الخلائق.
ـ الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور.
ـ التبيان في فضائل النصف من شعبان.
ـ إسفار البدر عن ليلة القدر.
ـ شرح الأربعين النواوية.
ـ نخبة البتهاج في فوائد الإسراء والمعراج.
ـ شرح ألفية السيرة للعراقي.
ـ شرح الخصائص الصغرى للسيوطي.
ـ الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية.
ـ الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة.
ـ المطالب العلية في الأدعية الزهية.
ـ كنز الطالبين لأوراد الأولياء والمسلكين.
ـ إتحاف الناسك بأذكار السفر والمناسك.
ـ بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين.
ـ تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف.
ـ بلوغ الأمل في الألغاز والحيل.
ـ النبذة السنية في علم المواريث الفرضية.
ـ ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس.

ـ عماد البلاغة في أسئلة أُولي اليراعة.
ـ التوقيف على مهمات التعاريف.
ـ مختصر تسهيل المقاصد لزوار المساجد للأقفهسي.
ـ شرح الورقات للجويني.
ـ شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا.
ـ شرح العباب لابن حجر الهيتمي.
ـ شرح زيد بن أرسلان.
ـ شرح هداية الطالب لأبي الحسن البكري.
ـ نزهة الحاوي بفتاوي الشرف المناوي.
ـ شرح الآجرومية.
ـ شرح جزء من القاموس.
ـ الصفوة بمناقب آل البيت.
ـ شرح منازل السائرين للهروي.
ـ مناقب السيدة فاطمة.
ـ مناقب الشافعي.
ـ مناقب الشيخ الأكبر.
ـ شرح الحكم العطائية.
ـ شرح المواقف للنفري.
ـ شرح العينية لابن سينا.
ـ شرح رسالة التصوف لابن سينا.
ـ الجواهر المضية في الآداب السلطانية.
ـ حاشية على شرح العقائد النسفية للسعد.
ـ شرح نظم العقائد لابن أبي شريف.
ـ مختصر تمهيد الأسنوي.
ـ بغية المحتاج في الطب والعلاج.
ـ الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود (طبع العلمية بتحقيقنا).
ـ شرح منظومة ابن العماد في آداب الأكل.

ـ شرح زوائد الجامع الصغير.
ـ شرح المنهج للشيخ زكريا.
ـ شرح هداية الناصح للشيخ أحمد الزاهد.
ـ شرح مختصر المزني.
ـ مختصر المصباح في علم المفتاح للجلدكي.
ـ شرح تحفة ابن الهائم في الفرائض.
ـ الشمعة المضية في علم العربية.
ـ الروضة الزهية بالفتاوى السمهودية.
ـ شرح البهجة الوردية للشيخ زكريا.
ـ مجمع الفوائد بفتاوى الأئمة الأماجد.
ـ منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين.
ـ رسالة في البسملة.
ـ تاريخ الخلفاء.
ـ شرح مسند الشهاب.
ـ ترتيب الشهاب للقضاعي.
ـ الكواكب الصغرى. وغير ذلك كثير.

وجاءت ترجمته في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للشيخ محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، على النحو التالي:

عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الملقب زين الدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، وقد تقدم ذكر تتمة نسبه في ترجمة ابنه زين العابدين الإمام الكبير الحجة الثبت القدوة صاحب التصانيف السائرة وأجل أهل عصره من غير ارتياب. وكان إماماً فاضلاً زاهداً عابداً قانتاً لله خاشعاً له كثير النفع، وكان متقرِّباً بحسن العمل مثابراً على التسبيح والأذكار، صابراً صادقاً،

وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره. نشأ في حجر والده وحفظ القرآن قبل بلوغه ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية وألفية ابن مالك وألفية سيرة العراقي وألفية الحديث له أيضاً، وعرض ذلك على مشايخ عصره في حياة والده ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده علوم العربية وتفقه بالشمس الرملي، وأخذ التفسير والحديث والأدب عن النور علي بن غانم المقدسي، وحضر دروس الأستاذ محمد البكري في التفسير والتصوف، وأخذ الحديث عن النجم الغيطي والشيخ قاسم والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوي لكن كان أكثر اختصاصه بالشمس الرملي وبه برع، وأخذ التصوف عن جمع وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، ثم أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلي أخي عبد الله وأخلاه مراراً، ثم عن الشيخ محرم الرومي حين قدم مصر بقصد الحج وطريق البيرامية عن الشيخ حسين الرومي المنتشوي، وطريق الشاذلية عن الشيخ منصور الغيطي، وطريق النقشبندية عن السيد الحسيب النسيب مسعود الطاشكندي وغيرهم من مشايخ عصره، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس فسلك فيها الطريقة الحميدة وكان لا يتناول منها شيئاً ثم رفع نفسه عنها وانقطع عن مخالطة الناس وانعزل في منزله وأقبل على التأليف فصنَّف في غالب العلوم ثم ولي تدريس المدرسة الصالحية فحسده أهل عصره وكانوا لا يعرفون مزية علمه لانزوائه عنهم، ولما حضر الدرس فيها ورد عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه وشرع في إقراء مختصر المزني ونصب الجدل في المذاهب وأتى في تقريره بما لم يسمع من غيره فأذعنوا لفضله وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضوره وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ البابلي والسيد إبراهيم الطاشكندي والشيخ علي الأجهوري والولي المعتقد أحمد الكلبي وولده الشيخ محمد وغيرهم، وكان مع ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم فتوالى عليه بسبب ذلك نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التداوي، ولما عجز صار ولده تاج الدين يستملي منه التآليف ويسطرها.

وتآليفه كثيرة منها: تفسيره على سورة الفاتحة وبعض سورة البقرة، وشرح على العقائد للسعد التفتازاني سماه غاية الأماني لم يكمل، وشرح على نظم العقائد لابن أبي شريف، وشرح على الفن الأول من كتاب النقاية للجلال السيوطي، وكتاب سماه أعلام الأعلام بأصول فني المنطق والكلام، وشرح على متن النخبة كبير سماه نتيجة الفكر وآخر صغير، وشرح على شرح النخبة سماه اليواقيت والدرر، وشرح على الجامع الصغير ثم اختصره في أقل من ثلث حجمه وسماه التيسير، وشرح قطعة من زوائد الجامع الصغير وسماه مفتاح السعادة بشرح الزيادة. وله كتاب جمع فيه ثلاثين ألف حديث وبيَّن ما فيه من الزيادة على الجامع الكبير وعقب كل حديث ببيان رتبته وسماه الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور، وكتاب آخر في الأحاديث القصار عقب كل حديث ببيان رتبته سماه المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق، وكتاب انتقاه من لسان الميزان وبيَّن فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ورتبه كالجامع الصغير، وكتاب في الأحاديث القصار جمع فيه عشرة آلاف حديث في عشر كراريس كل كراسة ألف حديث كل حديث في نصف سطر يقرأ طرداً وعكساً سماه كنز الحقائق في حديث خير الخلائق، وشرح على نبذة شيخ الإسلام البكري في فضل ليلة النصف من شعبان، وكتاب في فضل ليلة القدر سماه أسفار البدر عن ليلة القدر، وشرح على الأربعين النووية، ورتب كتاب الشهاب القضاعي وشرحه وسماه إمعان الطلاب بشرح ترتيب الشهاب، وله كتاب في الأحاديث القدسية وشرح الكتاب المذكور، وشرح الباب الأول من الشفا، وشرح الشمايل للترمذي شرحين أحدهما مزج والآخر قولات لكنه لم يكمل، وشرح ألفية السيرة لجده العراقي شرحين أحدهما قولات والآخر مزج سماه الفتوحات السبحانية في شرح نظم الدرر السنية في السيرة.

ترجمة الماتن شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي رضي الله عنه[1]

٣٩٦ هجرية ـ ٤٨١ هجرية

هو الإمام الجليل القدوة الحافظ الكبير، الصوفي العارف بالله تعالى إمام الحنابلة: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن متّ الأنصاريُّ الهَرَوِيُّ. أما نسبته للأنصاري فقد كان من ذرية سيدنا أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلَّم وعلى آله. أما نسبته «الهروي» فهي نسبة إلى مدينة «هراة» التي وُلد بها.

كان يلقب بـ«شيخ الإسلام»، وبـ«خطيب العجم» لفصاحته وعلمه ونبله. وكان رضي الله عنه حافظاً للحديث، بارعاً في اللغة، قطباً محققاً في التصوف، عارفاً بالتاريخ والأنساب.

---

(1) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب شرح منازل السائرين لكل من الدكتور محمد نصار والأستاذ أحمد عبد الحميد وهما اقتبساها بدورهما من كتاب «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي ـ مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية» وهو عبارة عن رسالة دكتوراه في العقيدة والفلسفة للدكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني، وعليها اعتمد عبد الله بن محمد الأنصاري في مقدمة كتابه «ذم الكلام» طبع مكتبة الغرباء الأثرية. وقد ترجم له رضي الله عنه في العديد من المصادر منها: «العبر في خبر من غبر» للذهبي: سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (2/ 343)، سير أعلام النبلاء (18/ 305)، تذكرة الحفاظ (3/ 1183)، الأعلام للزركلي (4/ 122)، طبقات المفسرين للإمام السيوطي (1/ 9)، شذرات الذهب (3/ 365)، الذيل على طبقات الحنابلة للسبكي (1/ 64)، نفحات الأنس للعارف الجامي رضي الله عنه (1/ 468 ترجمة 397)، روضات الجنات (5/ 115).

● **مولده:**

ولد العارف الهروي يوم الجمعة الثاني من شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة 396 هجرية بقندهار بـ«هراة» الواقعة في إقليم «خراسان» الذي يقع جزء منه اليوم في «أفغانستان»، وجزء في «إيران»، وجزء في الاتحاد السوفيتي ـ قبل تقسيمه ـ وقد كانت «هراة» من نصيب القسم الأول، إذ تقع في الشمال الغربي من أفغانستان قرب حدود الأفغانية الإيرانية.

● **الشيوخ الذين سمع منهم:**

وسمع من عبد الجبَّار بن محمد الجرَّاحي «جامعَ» أبي عيسى كله أو أكثره، والقاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي، وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي الحافظ، وأبي سعيد عبد الرحمان بن أحمد بن محمد السرخسي، خاتمة أصحاب محمد بن إسحاق القرشي، وأبي الفوارس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحُويِّص البوشنجي الواعظ، وأبي الطاهر أحمد بن محمد ابن حسن الضبّي، وأحمد بن محمد بن مالك البزَّار ـ لقي أبا بحرٍ البَرْبَهاري ـ وأبي عاصم محمد بن محمد المزيدي، وأحمد بن علي بن مَنْجُويه الأصبهاني الحافظ، وأبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي، وعلي بن محمد بن محمد الطِّرازي، وأبي نصر منصور بن الحسين بن محمد المفسر، وأحمد بن محمد بن الحسن السَّليطي، وأبي بكر أحمد بن الحسن الحيري لكنه لم يرو عنه، ومحمد ابن جبرائيل بن ماحي، وأبي منصور أحمد بن محمد ابن العالي، وعمر بن إبراهيم الهروي، وعلي بن أبي طالب، ومحمد بن محمد بن يوسف، والحسين ابن محمد بن علي، ويحيى بن عمَّار بن يحيى الواعظ، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الشيرازي لَقِيَه بنيسابور، وأبي يعقوب القَرّابِ الحافظ إسحاق ابن إبراهيم بن محمد الهروي، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الورّاق، وسعيد بن العباس القرشي، وغالب بن علي بن محمد، ومحمد بن المنتصر الباهلي المُعَدَّل، وجعفر بن محمد الفِرْيابي الصغير، ومحمد بن علي بن الحسين الباشاني، صاحب أحمد بن محمد بن ياسين، ومنصور بن رامشٍ ـ قدم علينا في

سنة سبع وأربعمائة ـ وأحمد بن أحمد بن حمْدِين، والحسين بن إسحاق الصائغ، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي، وعلي بن بُشرى الليثي، ومحمد ابن محمد بن يوسف بن يزيد، وأبي صادق إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن محمد بن محمود، وعلي بن أحمد بن محمد بن خَمرويه، ومحمد بن الفضل بن محمد بن مُجاشع، ومحمد بن الفضل الطاقي الزاهد، وعدد كثير، ومِنْ أقدم شيخٍ له الجرّاحي، سمع منه في حدود سنة عشر وأربعمائة. ويَنزلُ إلى أن يروي عنْ أبي بكر البيهقي بالإجازة. وقد سمع من أربعة أو أكثر من أصحاب أبي العباس الأصم.

● الشيوخ الذين حدّثوا عنه:

حدَّث عنه: المُؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر، وعبد الله بن أحمد بن السمرقندي، وعبد الله بن عطاء الإبراهيمي، وعبد الصبور بن عبد السلام الهروي، وأبو الفتح عبد الملك الكَرُوخي، وحنبل بن علي البخاري، وأبو الفضل محمد بن إسماعيل الفامي، وعبد الجليل بن أبي سعد المُعَدّل، وأبو الوقتِ عبد الأوّل السِّجْزي خادِمُه، وآخرون.

وآخر مَن روى عنه بالإجازة أبو الفتح نصرُ بن سيَّار، وبقي إلى سنة نيف وسبعين وخمسمائة.

● من صفاته:

كان رضي الله عنه آية في التذكير والوعظ. عالماً عارفاً، وعابداً زاهداً، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، يكتفي باليسير من الدنيا، وإذا اجتمع عنده منها شيء قام بتوزيعه! وكان كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصرة السنَّة، والذب عنها، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة. وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، ومن قوله فيه: «مذهبُ أحمد: أحمدُ مَذْهَب».

● **من خصائصه:**

أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، والمراكب المعروفة، وتكلَّف غاية التكليف، ويقول: «**إنما أفعلُ هذا إعزازاً للدين، ورغماً لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزّي وتجملي، فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عزَّه**». ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقّعة والقعود مع الصوفية في الخانقاه، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. على هذا كان يزجي أيامه، وكل ما نقل عنه من سيرته محمود.

ومن جملة ما أخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته: التبكيرُ بصلاة الصبح، وأداءُ الفرائض في أوائل وقتها، واستعمالُ السّنن والأدب فيها.

ومن ذلك: تسميةُ الأولاد في الأغلب بالعبد، المضاف إلى اسم من أسماء الله تعالى: كعبد الخالق، وعبد الخلاق، وعبد الهادي، وعبد الرشيد، وعبد المجيد، وعبد المعز، وعبد السلام. إلى غير ذلك مما كان يحثّهم ويدعوهم إلى ذلك، فتعوَّدوا الجريَ على تلك السنَّة، وغير ذلك من آثاره.

● **علم الإمام الهروي رضي الله عنه:**

كان الشيخ رحمه الله آية في التفسير، وحفظ الحديث، ومعرفته، ومعرفة اللغة والأدب. وكان يُفَسِّر القرآن في مجلس التذكير.

وذكر الكتبي في تاريخه: أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن، ففسره في مجالس التذكير، سنة ست وثلاثين. وفي سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير.

قال: وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع، إلى أن بلغ إلى قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 165]. فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة، وبنى عليها مجالس كثيرة. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبيَاء: الآية 101]،

بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً. فلما بلغ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّور: الآية 43] كُفَّ بَصَرُه سنة ثلاث وسبعين، ولما بلغ إلى قوله عزَّ وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] قال: «في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي». وأخذَ يُفسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ «المميت»، فأُخرج من البلد في الفتنة الأخيرة. فلما عاد سنة ثمانين، عقد المجلس على أمر جديد، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى. وأخذ يستعجل في التفسير، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها، يريد أن يختم في حياته، فلم يقدّر له على ذلك وتوفي، وقد انتهى إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: الآيتان 67، 68].

وقال ابن طاهر الحافظ: سمعت شيخنا الأنصاري يقول: «إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائة وسبعة تفاسير». قال: وجرى يوماً ـ وأنا بين يديه ـ كلامٌ، فقال: «أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سرداً»، قال: «وقلّ ما ذَكَرَ في مجلسه حديثاً إلا بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه».

وحكى الرهاوي عن بعضهم قوله: سمعتُ بعض الأدباء يقول: سئل شيخ الإسلام الأنصاري عن تفسير آية، فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية في كل بيت منها لغة تلك الآية.

ومن فوائده ما نقله ابن طاهر الحافظ قال: سمعت أبا إسماعيل الأنصاري يقول: «كتابُ أبي عيسى الترمذي عندي أفيدُ من كتاب البخاري ومسلم»؛ فقلتُ: لِمَ، قال: «لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة. وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبيَّنها، فَيَصِل إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدِّثين وغيرهم».

قال الرُّهاوي: وقد رأيتُ كرسي شيخ الإسلام قليل المراقي في زاوية من جامع هراة، والناس يتبركون به. والتبرك بآثار العلماء والصالحين جائز خلافاً لمن منعه من المبتدعة المعاندين للكثرة الهائلة من الآثار الواردة في ذلك، مدعين أن ذلك شرك، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: الآية 5].

ثناء الشيوخ والعلماء عليه رضي الله عنه:

أثنى على الإمام الهروي شيوخه وأقرانه، ومن دونه من الفقهاء، والمحدثين والصوفية، والأدباء وغيرهم. حتى قال سعد الزنجاني فيه: «إن الله حفظ به الإسلام، وبابن منده».

وقال الرُّهاوي: سمعتُ بهراة: أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة، ووصل إلى مرو، وأذن له في الرجوع إلى هراة، ووصل إلى مرو الروز، قصده الإمام البغوي الفرَّاء، صاحب التصانيف. فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام: «إن الله قد جمع لك الفضائل، وكانت قد بقيت فضيلة واحدة، فأراد أن يكملها لك، وهي الإخراج من الوطن، أسوة برسول الله ﷺ».

وذكر الحسين بن محمد الكتبي في تاريخه أنه صحح على الإمام ناصر المروزي بنيسابور وسط تلاميذه رواية ذكر فيها أنه رُوي عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طٰه: الآية 114]، فقال العارف الهروي: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عِمرَان: الآية 8]، فقال المروزي: صدقتَ ورجع إلى قوله، وحثَّ القوم على إثباته وتعليقه.

واجتمع العارف الهروي بسيدي أبي الحسن الخرقاني رضي الله عنه أحد أكابر المشايخ لا سيما سلسلة النقشبندية الموسومة بالسلسلة الصديقية، وكان سيدي أبو الحسن الخرقاني يحسن الثناء عليه ويلاطفه في المخاطبة.

وذكره أيضاً الإمام عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»، فقال: لم يرَ أحد من الأئمة في فنه حُلماً ما رآه عياناً من الحِشْمَة الوافرة القاهرة، والرونق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعام، في تلك الناحية واتساق أمور المريدين والأتباع والغالين في حقه، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه، ونواب المجالس، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح.

وله رضي الله عنه شعر كثير حَسَنٌ جدّاً. ولأجل هذا ذكره الباخرزي الأديب في كتابه «دمية القصر في شعراء العصر» وله كلام في التصوف والسلوك

دقيق. ومن أجلِّه كتابه «منازل السائرين» الذي شرحه بين يدي القارىء الكريم.

قال أبو سعد السمعاني: «كان مُظهراً للسنَّة، داعياً إليها، مُحرِّضاً عليها، وكان مكتفياً بما يباسط به المريدين، ما كان يأخذ من الظَلَمة شيئاً، وما كان يتعدى إطلاق ما ورد في الظواهر من الكتاب والسنَّة، معتقداً ما صحَّ، وغير مصرِّح بما يقتضيه تشبيه أو تجسيم، ومن قوله رضي الله عنه: «مَن لم ير مجلسي وتذكيري فطعن فيَّ، فهو مني في حِلّ».

وذكر ابن طاهر الحافظ في كتابه المذكور قال: «سمعت الإمام عبد الله بن محمد الأنصاري يُنشد على المنبر في يوم مجلسه بهراة:

أنا حنبليٌّ ما حييتُ وإن أمت فَوَصِيتي للناس أن يَتَحَنْبَلُوا

قال أبو طاهر: «وسمعته بهراة: عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا أسكت.

وكان الشيخ رحمه الله مقبولاً عند العامَّة والخاصَّة، ولذلك كان محسوداً من كثيرين، وقد سعوا بدمه مراراً ـ على ما نقله الذهبي ـ ولم يتمكنوا، بل صار ذلك سبب إقبال الناس إليه.

ومما حكاه الذهبي في ذلك: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك. وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا. وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن الله تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده، فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاماً وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألقى الغلام الصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتى فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل

من الصفر شبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك، قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا وأنك تقول إن الله على صورته، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: الآية 16]، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً وقال لهم: أصدقوني، وهددهم، فقالوا: نحن في يد هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم.

● **مؤلفاته رضي الله عنه:**

ألّف الشيخ في التفسير والحديث والتصوُّف والعقيدة والتراجم، وغير ذلك، ومن مؤلفاته:

كتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» طبع، وكتاب «الأربعين في السنَّة»، وكتاب «الفاروق في الصفات»، وكتاب «ذم الكلام وأهله» طبع، وكتاب «مناقب الإمام أحمد»، وكتاب «الرسالة». قيل إنه مؤلَّف يبحث في إسناد الموجودات إلى الخالق سبحانه وتعالى، وكتاب «علل المقامات» وهو رسالة صغيرة في التصوُّف، أملاها الشيخ رضي الله عنه في أواخر حياته، وقد طُبعت في دمشق سنة 1956، و«تفسير القرآن الكريم» باسم «كشف الأسرار وعدة الأبرار»، وقد ذكر في بعض المراجع باسم «تفسير الإمام الهروي»، ألّفه الشيخ رضي الله عنه باللغة الفارسية، وطُبع في إيران، وكتاب «طبقات الصوفية» وهو كتاب باللغة الفارسية، أملاه شيخ الإسلام على تلاميذه أثناء شرحه لكتاب «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي رضي الله عنه المتوفى سنة 412، طُبع في «كابل» عام 1962 م، وقد جمع الشيخ العارف عبد الرحمٰن الجامي رضي الله عنه كتاب الشيخ الهروي، ورتَّبه، وزاد عليه، في كتاب بالفارسية سماه «نفحات الأنس» وعرّبه مولانا تاج الدين العثماني الهندي النقشبندي المتوفى سنة 1050، وهذا الأخير مطبوع عدة طبعات آخرها بالعلمية ببيروت بتحقيق محمد أديب الجادر، وكتاب «خلاصة في شرح حديث: كل بدعة ضلالة»، وكتاب «باب في الفتوة»،